المحاضرة03: الحصري القيرواني

نبغ في منطقة المغرب العربي عدد كبير من الأسماء الّتي كان لها الفضل في تطوير الحياة الثّقافية والاهتمام بمختلف العلوم، والتّجديد في مختلف المناحي الأدبيّة، فكان لهم الدّور الأساسي في الارتقاء بالحياة التّعليمية في هذه المنطقة الّتي كانت تشهد ضعفا وانحطاطا ثقافيا لاسيّما في مرحلة الفتوحات.

ويعدّ "**الحصري القيرواني**" أحد أبرز الأعلام الّذين ساهموا بإنتاجاتهم الأدبية في ازدهار الحركة الثّقافية في منطقة المغرب العربي.

1.التّعريف بالحصري (330هـ-413هـ):

هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري المعروف بالحصري القيرواني، كان على شيء من الوجاهة في بلده وعلى كثير من العلم بالأدب، فكان شبّان القيروان يجتمعون عنده ويأخذون عنه، ويبدو أنّه كان يتكسّب بالشّعر أو يرتزق بتآليفه، وكانت وفاته في المنصورية قرب القيروان سنة 413هـ (1022م) وقد جاوز أشدّه.

قال "أبو ياقوت الحموي": وكان أبو إسحاق الحصري شاعرا نقّادا عالما بتنزيل الكلام وتفصيل النّظام، يحب المجانسة والمطابقة ويرغب في الاستعارة تشبها بأبي تمام في أشعاره وتتبعا لآثاره.

2.مؤلفاته:

للحصري كتب كثيرة منها:

-ديوان شعر يُعرف بديوان الحصري:

ذكره ابن خلكان وأورد نتفا من ترجمته له، وقد جمع "حسن حسني" بعضه ونشره في كتابه "المنتخب المدرسي من الأدب التونسي".

-المصون في سرّ الهوى المكنون:

وهو مختارات من الأخبار والنوادر والشّعر، ذكر "حسن حسني" أنّه مجلّد واحد فيه حوالي أربعمائة ورقة.

-جمع الجواهر في الملح والنوادر:

كما سمّاه "عبد القادر البغدادي"، أمّا المؤلف فسماه في مقدمته "جواهر النوادر ولمح الملح" وقد طبع مرة باسم "ذيل زهر الآداب".

-زهر الآداب وثمر الألباب:

طبع مرّة بتحقيق علي البجاوي ومرّة بتحقيق زكي مبارك، ولزهر الآداب مختصر اسمه "اقتطاف الزهر واجتناء الثّمر" تأليف الإمام أبي الحسن علي ابن محمد، وفي دار الكتب المصرية نسخة من هذا المختصر في مجلّد.

3.مختارات من آثاره:

كتب "الحصري" في العديد من الأغراض من بينها الرّثاء؛ فقد كتب ديوانا كاملا بعنوان "اقتراح القريح واجتراح الجريح" في **رثاء ابنه** "عبد الغني" حيث يقول:

فلما ماتَ متُّ أسًى عليه***كأنّي كنت جسما وهو روحُ

فناديتُ القريحـــــة أبّنـــيه***فقالت نعم ما اقترح القريح

ويقول أيضا:

ويح عيني سُلبت قرّتها***وخبا نيّرها لما ائتلقْ

ولدي فارقتُ لا بل كبدي***فالّذي استجمع من شملي افترقْ

وفي **رثاء المدن** يقول متحسّرا على مدينة القيروان متمنيا أن تعود لسيرتها الأولى:

كأنّني لم أذق بالقيروان جنى***ولم أقل ها لأحبابي ولا هاتوا

ولم تشقني الخدود الحمر في يقق***ولا العيون المراض البابليات

أبْعَدَ أيّامنا البيضِ الّتي سلفت***تروقني غدوات أو عشيّاتُ

أضف إلى غرض الرثاء كتب "الحصري" في **الغزل** مثل قوله:

ودّعتُ من أهوى بل استودعتها***قلبي وسرّ مدامعي وزفيري

فبكتْ بنرجستين خفت عليهما***نفسي فلم ألثم بغير ضميري

وتعدّ قصيدة (يا ليل الصبّ) من أشهر القصائد الّتي كتبها "الحصري" ومقدمتها غزلية نظمها الشّاعر معتذرا ومادحا لأبي عبد الرحمن محمد بن طاهر أمير مرسية يقول فيها:

يا ليلُ الصبّ متى غدُهُ***أقيّام السّاعة موعدهُ

رقد السّمـــارُ فـــأرّقهُ***أسَف للبين يـردّده

فبكاه النّجم ورقّ له***ممّا يرعـــاه ويرصـدهُ

وممّا قاله في غرض **المدح** أبياتا يمدح فيها "أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر" صاحب إمارة مرسية:

أنـــت الدّنيا والدّين لـــنا***وكريم العصر وأوحدُهُ

لو أنّ الصّخر سقاه ندى***كفّيك لأورق جلمده

والركن لو أنّك لامســـه***لابيضّ بكفّك أسودُهُ

وقال في **الشّكوى والحنين** أبياتا تتجسّد فيها معاناته وشكواه من عدم وجود أصدقاء أوفياء مخلصين، فقد ابتُلي بالجهلاء والمنافقين:

وددتُ بأن ألقى من الناس منصفا***إذا قلتُ حقّا قال لي أنت صادق

وإن قلتُ غير الحقّ لم يرضَ لي به***وأوضح للفكر الّـذي هـــو لائق

ولكنّهم صنفـــان فيّ فجاهـــلُ***يدافع حـــقا أو عـــــليم منافق

وعموما يمكن القول إنّ "الحصري" شاعر تقليدي في شكل معظم قصائده ومضمونها، ويبدو تأثره واضحا بشعراء المشرق.